الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية — الموسم الجامعي:2021/2020

قسم العلوم الاجتماعية / تخصص: فلسفة — المستوى: ثانية فلسفة

المقياس: الفكر الخلدوني — الأستاذ: أ.د/ علي سعد الله

(أستاذ التعليم العالي)

المحاضرة 01: مصادر الفكر الخلدوني

أولا: مقدمة تعريفية موجزة حول مسار حياة ابن خلدون

أ-موجز حياته:

ولد عبد الرحمان بن خلدون (1332هـ -1406 م) بتونس، ودرس فيها على يد أساتذة من أصول أندلسية: علوم اللغة، والعلوم الشرعية، والعلوم النظرية الفكرية؛ كالمنطق والحكمة، وفي عام 1349 هـ ، مات أبوه وأمه، بالطاعون، وتولى مناصب إدارية لفترة وجيزة بتونس، ثم قرر الهجرة إلى الجزائر، فقصد مدينة الكاف بتونس، ومنها إلى تبسة ثم إلى قسنطينة (التي تزوج فيها)، ثم رحل إلى تلمسان، وتولى فيها منصبا إداريا رفيعا، وبسبب الوشايات، وغيرة أنداده منه، سجنه السلطان 18 شهرا، ولما مات السلطان، أخرجه ابنه من السجن، ثم سافر إلى الأندلس، ولقي فيها صديقه: لسان الدين بن الخطيب، في غرناطة . ثم رجع إلى تلمسان، وتولى فيها الحجابة: (= رئاسة الوزراء). ثم رجع إلى الأندلس مرة أخرى، وزار فيها مدينة إشبيلية- مسقط رأس جده – وعرض عليه حاكمها الإسباني، منصب سفير، فرفض عرضه، وعاد إلى تلمسان[1]، فكلفه السلطان بتهدئة القبائل المتمردة في أطراف الدولة، حتى كره ابن خلدون هذه المهمة، فهرب واختفى عند قبيلة بني عرّيف، في قلعة بني سلامة (بلدية فرندة حاليا)، مدة أربع سنوات (04)، كتب خلالها كتابه الشهير " العبر " في (07) مجلدات، علما بأنه قام بالتدريس، حوالي عامين في مسجد بجاية .

وبعد تأليف كتابه المذكور ، رجع إلى تونس، وبدأ مرحلة أخرى، بدأها بالتدريس في جامع الزيتونة، الذي كان يدير شؤونه " محمد بن عرفه " ، ولا حظ ابن خلدون، أن " محمد بن عرفه " يغير منه، وأنه قد يوشي به إلى السلطان، فقرر الهروب والخروج من تونس، وقدم طلبا إلى سلطان تونس؛ يطلب منه فيه الترخيص له بالقيام بمناسك الحج، فوافق السلطان، وسمح له بالمغادرة إلى مكة المكرّمة (وكان قصده الوصول إلى القاهرة، لا مكة المكرّمة) .

ولما وصل ابن خلدون إلى القاهرة، عيّنه سلطان مصر في منصب قاضي المالكية، وقام بمناسك الحج مرتين، انطلاقا من القاهرة، وفي أثناء ذلك بعث ابن خلدون إلى عائلته بتونس، بأن تأتي إليه في القاهرة، ولما

[1] - أغتيل يحي ابن خلدون (أخو عبد الرحمان) في تلمسان، بعد أن ألف يحي (المغتال) كتاب: بغية الرواد في تاريخ بني عبد الواد (جزآن) .

وصلت السفينة التي تحمل عائلته وأبناءه ومتاعهم، إلى عرض البحر، غير بعيد من ميناء طرابلس، غرقت السفينة بمن فيها وما فيها، وهذه ثاني نكبة أصيب بها ابن خلدون، بعد النكبة الأولى، - وهي سجنه في تلمسان – كما سبقت الإشارة .

بعد ذلك كلفه سلطان مصر برئاسة وفد، يذهب إلى دمشق، لفك الحصار الذي ضربه تيمورلنك (المغولي) على المدينة . ولما وصل الوفد إلى دمشق، قام ابن خلدون بالاتصال بتيمورلنك، وفاوضه في فك الحصار، حوالي ثلاث مرات، دون جدوى، فرجع إلى القاهرة، و ولاه سلطان مصر مرة أخرى منصب قاضي القضاة، (= وزير العدل) .

وأخيرا، حصل ابن خلدون على مزرعة من سلطان مصر، في مدينة الفيوم، يتعيش منها، بقية حياته، إلى أن توفي عام 1406 م، وقد دفن في القاهرة، في مقابر الصوفية .

ب-نظرياته الفكرية:

1-نظرية العمران، أو علم الاجتماع . (سبق فيها أوجيست كونت) .

2-نظرية العصبية (في نشأة الدولة) .

3-نظرية التطور (سبق فيها داروين) .

4-نظرية المنهج النقدي (سبق فيها ديكارت، وفرنسيس بيكون) .

5-نظرية قانون الحاجة (في نشأة المجتمع) .

6-نظرية تقسيم المجتمع .

7-نظرية اقتصادية (استفاد منها كارل ماركس) .

8-نظرية الحضارة: كيفية نشوئها وسقوطها (تأثر بها مالك بن نبي) .

9-نظرية جدلية: مرحلة التأسيس (للظاهرة)، فمرحلة البناء، ثم مرحلة الهدم .

10-نظرية سياسية: في تشكل نظام الحكم، ووظائف الدولة .

11-نظرية تربوية: ترتكز على اللاعنف ومراعاة ميول الأطفال (تشبهها في العصر الحديث نظرية روسو، التي استند فيها الطبيعة) .

12-نظرية الوازع: أو الضمير الأخلاقي/ وقد درس المرحوم عبد الله شريط، هذه النظرية في مجلد ضخم، بعنوان: " الفكر الأخلاقي عند ابن خلدون " .

ج-مؤلفاته:

ألف ابن خلدون، عدة كتب- وحسب بعض الباحثين- فإن بعض مؤلفاته قد ضاع، ولم يصلنا منها سوى المؤلفات الأربعة الآتية :

1-"كتاب العبر في تاريخ العرب والبربر"، وهو في 07 مجلدات، المجلد الأول منه، هو المعروف بـ: المقدمة ، التي ضمنها فلسفته، ودرس فيها جميع العلوم التي عرفها عصره، أما المجلدات الستة الباقية، فقد ضمنها دراسة التاريخ .

2-" التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا "، وهو أول مفكر في العلم العربي الإسلامي، كتب مذكراته الشخصية، كما يعتبر القديس أوغسطين (354-430 م) في المسيحية، هو أول من كتب مذكراته الشخصية، وسماها " الاعترافات " .

3-" شفاء السائل في تهذيب المسائل"، درس فيه مسائل في التصوف، ونقد فيه بعض آراء أفلاطون .

4-" المحصل في أصول الفقه" .

ثانيا/ مصادر فكر ابن خلدون:

تتشكل مصادر فكر ابن خلدون، من منابع مختلفة، فمنها مصادر إسلامية خالصة، ومنها الفكرية العربية، ومنها كذلك مصادر أجنبية .

1-المصادر الإسلامية:

تأثر ابن خلدون بالمصادر الإسلامية الآتية، واستفاد منها، وهي أربعة:

أ-القرآن الكريم:

ابن خلدون رجل قرآني، حفظ القرآن وختمه سبع مرات، وإن من يقرأ الجزء الأول من كتاب " العبر "، وهو الجزء المعروف بـ " المقدمة "، يتأكد أن ابن خلدون، ينهي كل فصل تقريبا، بآية قرآنية، مثل ذلك النماذج الآتية:

1-الفصل الثالث، من الباب الثالث، انهاه بقوله تعالى: " والله يحكم لا معقّب لحكمه " / الرعد- 41.

2-الفصل التاسع، من الباب الثالث، أنهاه بقوله تعالى: " والله غني عن العالمين " / آل عمران-98.

3-الفصل الحادي والعشرون، من الباب الثالث، أنهاه بقوله تعالى: " والله يؤتي ملكه من يشاء "/ البقرة -247.

4-الفصل الثالث والثلاثون، من الباب الثالث، أنهاه بقوله تعالى: " والله يضل من يشاء، ويهدي من يشاء "/ فاطر-08.

5-الفصل السادس والأربعون من الباب الثالث، أنهاه بقوله تعالى: " ولكل أجل كتاب "/ الرعد-38.

6-الفصل السابع والأربعون من الباب الثالث، أنهاه بقوله تعالى:" كل شيء هالك إلا وجهه "/ القصص-88.

ب-السنّة النبوية:

قامت مكتبة المدرسة، ودار الكتاب اللبناني، في طبعتها الثانية (بيروت 1961 م)، لمقدمة ابن خلدون

(المجلد الأول من كتاب العبر)، بإحصاء الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية ، في المقدمة، في مسرد خاص، تضمن 43 حديثا نبويا، استشهد بها ابن خلدون في المقدمة، ومن بينها الحديث الصحيح الذي أورده ابن خلدون للتأكيد على أن العصبية- وهي نظريته في نشوء الجماعات والأمم والدول- ضرورية حتى في وجود

النبوءات، حيث قال الرسول (ص): " ما بعث الله من نبي، إلا في منعة من قومه " . ومعنى : منعة؛ أي في حماية وعصبية من قوم النبي، حتى تنجح النبوة في دعوتها .

وهكذا يستند ابن خلدون، في تبرير آرائه ونظرياته، إلى مصدري: القرآن[2] والسنّة النبوية الشريفة .

يتبع ←

[2] - نشير إلى أن ابن خلدون، استدل بالقرآن أيضا، على وجود العصبية، من سورة يوسف عليه السلام، عندما قال إخوته لأبيهم يعقوب:" ونحن عصبة " .

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية الموسم الجامعي:2021/2020

قسم العلوم الاجتماعية / تخصص: فلسفة المستوى: ثانية فلسفة

المقياس: الفكر الخلدوني الأستاذ: أ.د/ علي سعد الله

(أستاذ التعليم العالي)

المحاضرة 02: مصادر الفكر الخلدوني (تابع)

ج-الفقه:

استفاد ابن خلدون من الفقه الذي هو عمود الشريعة الإسلامية وأساسها، فقد درس الفقه بتونس على أساتذة الشريعة، وهو في سن الشباب، ومارسه، عندما قام بتدريسه في بجاية، وفي جامع الزيتونة بتونس، وعندما ولّي في مصر قاضي القضاة، ثم أنه ألّف فيه كتاب " المحصل في أصول الفقه " – كما سبقت الإشارة - .

د-التصوف:

قرأ ابن خلدون كتب التصوف الإسلامي واطلع على سيرة رجاله ومؤلفاتهم، وقد خصص لعلم التصوف، فصلا كاملا في " المقدمة "، هو الفصل السابع عشر، من الباب السادس، درس فيه مذاهب التصوف واتجاهات رجاله ونزعاتهم الروحية والعقلية والعملية والمتطرّفة، ومن ثم استفاد من آرائهم، وقام بانتقاد بعض تلك الآراء- كما فعل الغزالي- وخاصة مذهب الحلول، الذي يزعم أنصاره من الصوفية، أن الله تعالى: " متحد بالمخلوقات "[1]. ضف إلى ذلك أن ابن خلدون انتقد في كتابه " شفاء السائل "، بعض آراء الصوفية، مما يؤكد أن التصوف، من مصادر تفكيره .

هـ-علم الكلام:

تأثر فكر ابن خلدون بالآراء الكلامية، لأنه درس النزعات المختلفة لمدارس علم الكلام، ويظهر ذلك في الفصل العاشر، من الباب السادس في " المقدمة "، الذي خصصه لهذا العلم، بما أن علم الكلام يعتبر علما عقليا، وفلسفة فكرية، ظهرت في صدر الإسلام، للدفاع عن مبادئ الإيمان الصحيح في الإسلام، فعلم الكلام هو: " علم يتضمن الحجاج[2] من العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية والرد على المبتدعة المنحرفين في الاعتقادات عن مذاهب السلف و أهل السنّة، وسر هذه العقائد الإيمانية هو التوحيد "[3] .

تعرّض ابن خلدون في فصل علم الكلام، إلى عرض آراء أغلب المدارس الكلامية، كالمعتزلة، و الأشاعرة، وأهل السنّة، والمبتدعة والمشبّهة، وغير ذلك، كما تطرّق إلى آراء بعض المفكرين في علم الكلام، من أهل

---

[1] - ابن خلدون: المقدمة، ص 868، دار الكتاب اللبناني، ط 02، بيروت، 1961.

[2] - أي: الحجاج العقلي، لأن المحاججة لا تكون إلا بالعقل، ولذلك فإن علم الكلام، هو جزء من الحكمة أو الفلسفة، التي هي علم العقل .

[3] - نفسه: ص 821-838، وتجدر الإشارة إلى أن فصل علم الكلام، في المقدمة، من أطول فصولها، بلغت صفحاته 17 صفحة .

السنّة، كآراء الباقلاني، وإمام الحرمين (جلال الدين المحلي)، و الغزالي، والبيضاوي، والإمام ابن الخطيب، وغيرهم، ولم يتعرّض إلى ذكر علماء المعتزلة، عن قصد، حتى لا يتّهم- من طرف فقهاء السلطان – بأنه معتزلي، في نزعته وآرائه (العقلية) .

-معتقدية (idéologie) ابن خلدون:

سبقت الإشارة (في المحاضرة الأولى)، إلى أن ابن خلدون له نظرية منهجية، هي" نظرية المنهج النقدي "، ومن المعلوم، أن النقد يستند إلى العقل وحده، لا إلى العاطفة، ومن ثم يتأكد لنا أن ابن خلدون، عقلاني في تفكيره، علمي في ملاحظاته وآرائه (لأن العلم يستند فقط إلى العقل، وكذلك الحكمة أو الفلسفة، فالعلم والحكمة توأمان، كما قيل) ، مما يؤكد أن نزعة ابن خلدون، أو معتقديته، عقلانية علمية، لكن ابن خلدون، لا يريد أن يظهر للفقهاء- وهم حزب السلطان- وكذلك لرجال السلطان، وحاشيته بأنه ينزع إلى التفكير العقلي، والعلمي، فلو فعل ذلك لأدخلوه السجون، مرات أخرى، وربما اغتالوه، كما اغتالوا أخاه (يحي) في تلمسان .

وهكذا يبدو أن ابن خلدون، يمارس مبدأ (التقية) في حياته العلمية، حفاظا على حياته، كما قال تعالى: " إلا أن تتقوا منهم تقاة "[4]، لأنه كان مراقبا من الفقهاء، الذين يمثلون معتقدية السلطان، وهي معتقدية ترتكز على مبادئ السلف الصالح، أي: السلفية التقليدية، من جهة، وعلى مبادئ أهل السنّة، التي يمثلها أبو الحسن الأشعري، و الأشاعرة، من جهة أخرى .

ولذلك كان ابن خلدون، يتظاهر بأنه سني وأشعري، ويخفي نزعته أو معتقديته الحقيقية، وهي النزعة العقلانية العلمية، التي أسّسها المعتزلة في نهاية القرن الأول للهجرة، على يد واصل ابن عطاء .

على أن هناك قرائن متعددة تدل على أن نزعة ابن خلدون، نزعة عقلية اعتزالية، ومن بين تلك القرائن، أنه لم يعترض على آراء المعتزلة، ولم ينتقد آراء مفكريها، مثل آراء واصل بن عطاء، وإبراهيم النظّام، وأبو عثمان الجاحظ، وأبو الهذيل العلاّف، وغير هؤلاء . وعلى العكس من ذلك، انتقد ابن خلدون آراء الأشاعرة، الذين يمثلون أهل السنّة، والسلفية التقليدية، وذلك عندما أوعز ابن خلدون، إلى أحد أصدقائه من شعراء تونس، قال قصيدة بها 34 بيتا، في ذم آراء الأشاعرة، وأثبت تلك القصيدة في الجزء الأول من كتاب العبر، أي: المقدمة، مما يؤكد أن نزعته وآراءه المعتقدية، تتفق مع نزعة المعتزلة العقلانية .

نستخلص مما سبق، أن عصر ابن خلدون، عرف- من الناحية السياسية- صراعا مريرا بين حزبين أو اتجاهين:

1-حزب[5] السلطان، أو حزب النظام السياسي، الذي يتشكل من الفقهاء وحاشية السلطان، ومن موظفي الدولة، سواء كانوا من المدنيين، أو من عناصر الجيش، وعيون الدولة، وتقتضي سياسة هذا الحزب، أن يعمل النظام السياسي، وفقا لمبادئ و آراء أهل السنّةن أي: السلفية التقليدية . وآراء هذا الاتجاه، تتميز بالاعتدال، وتتوافق مع مستوى تفكير الطبقة العامة . وهي الطبقة التي يخشى السلطان دائما، أن تثور وتتمرّد عليه، ولذلك يسعى السلطان لإرضائها بواسطة الفقهاء، الذين في استطاعتهم إقناع العامة، ونتيجة لذلك، فإن هذا الحزب، يعارض حرية التعبير، وحرية التفكير، ويكره النقد، والتعبير، ويحارب النخب المفكرة وآراءها ومواقفها .

ومما يلاحظ في هذا السياق، أن نكبة ابن رشد، المشهورة في تاريخ الفلسفة، خطط لها، وقام بأدوارها، حزب السلطان وفقهاؤه، وابن خلدون يعرف جيدا من خطط لنكبة ابن رشد، فحاول أن يفلت من مؤامرات الفقهاء،

---

[4] - آلا عملران/ 28 .

[5] - لفظ حزب، معناه هنا طبقة أو اتجاه ، لا بالمعنى الحالي للحزب، المؤلف من خلايا، ورئيس أو زعيم ....الخ .

باللجوء إلى (التقية) والتظاهر بعدم انتقاد التفكير التقليدي، الذي ساد آراء الاتجاهات الاتباعية، كالمرجئة والجبرية، وسواهما، من المعارضين للتغيير .

2-حزب النخب المفكرة والمثقفة، التي تحاول معارضة سياسات الحزب الأول (السلطاني)، ويلجأ هذا الحزب إلى المعارضة السلمية، بوسائل متعددة، للتعبير عن رأيه، من خلال الكتابة والتأليف، والاتصالات الشخصية بين العلماء والمفكرين، مثل ذلك، جماعة إخوان الصفاء وخلان الوفاء (القرن 10 م/ القرن الرابع الهجري)، الذين ألّفوا (51) رسالة في ستة مجلدات، هي عبارة عن موسوعة علمية، درسوا فيها جميع العلوم، وحاولوا من خلالها إصلاح المجتمع ودولته، والنهوض بالأمة الإسلامية، ومن المفكرين الذين مثّلوا هذا الحزب أو الاتجاه، ابن حزم الأندلسي، وابن رشد، ولسان الدين بن الخطيب، والغزالي، وابن تيمية، وابن خلدون .

2-المصادر الفكرية العربية:

بعد تعرضنا للمصادر الإسلامية في فكر ابن خلدون، نتناول الآن، المصادر الفكرية العربية، ونعني بها مؤلفات المفكرين في الحضارة العربية، التي رجع إليها ابن خلدون، وقرأها، وأثرت في تفكيره، وهي على الوجه الآتي:

1-مؤلفات ابن حزم الأندلسي، ذكره في المقدمة ثلاث مرات.

2-مؤلفات ابن رشد، ذكره في المقدمة تسع (09) مرات .

3-مؤلفات ابن سينا، ذكره في المقدمة، 17 مرة .

4-مؤلفات الفارابي، ذكره في المقدمة، سبع مرات .

5-مؤلفات الغزالي، ذكره في المقدمة، سبع مرات .

6-مؤلفات الجاحظ (من المعتزلة)، ذكره في المقدمة، مرتان .

7-مؤلفات أبي الحسن الأشعري، ذكره في المقدمة، مرتان .

8-مؤلفات ابن طفيل، ذكره في المقدمة، مرتان .

9-مؤلفات ابن باجة، ذكره في المقدمة، مرة واحدة .

10-مؤلفات الزمخشري (من المعتزلة)، ذكره في المقدمة، سبع مرات .

11-مؤلفات الكندي، (أول فلاسفة العرب)، ذكره في المقدمة، خمس مرات .

12-مؤلفات الماوردي، ذكره في المقدمة، ثلاث مرات .

13-مؤلفات الباقلاني، ذكره في المقدمة، أربع مرات .

3-المصادر الفكرية الأجنبية:

إن أغلب هذه المصادر يونانية، اطلع عليها ابن خلدون من ترجماتها إلى العربية، وهي كالآتي:

1-مؤلفات هوميروس، صاحب الإلياذة والأوديسة (ق 09 ق.م)، ذكره في المقدمة، مرة واحدة .

2-مؤلفات هيرودوت، مؤرخ يوناني (القرن 05 ق.م)، ذكره في المقدمة مرتان .

3-مؤلفات أفلاطون، (القرن 04 ق.م)، ذكره في المقدمة، أربع مرات، وذكره في كتابه: شفاء السائل، عدة مرات .

4-مؤلفات أرسطو، (القرن 04 ق.م)، ذكره في المقدمة، 11 مرة .

5-مؤلفات أوروشيوس (القرن 04 م)، كاهن إسباني، عاصر القديس أوغسطين، له كتاب: تاريخ العالم، استفاد منه ابن خلدون، وذكره عدة مرات، في الجزء الثاني من كتاب العبر .

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية الموسم الجامعي:2021/2020

قسم العلوم الاجتماعية / تخصص: فلسفة المستوى: ثانية فلسفة

المقياس: الفكر الخلدوني الأستاذ: أ.د/ علي سعد الله

المحاضرة 03: موجز المسار المعرفي من نسق ابن خلدون الفكري

تعرضنا في المحاضرة الأولى إلى ذكر (12) نظرية فكرية من نظريات ابن خلدون، واليوم نؤكد أن بعض تلك النظريات، تحوّل إلى علم، فيكون (ابن خلدون) بذلك، قد أنشأ علوما، بقصد أو بغير قصد، كعلم الدولة، وعلم العمران، وعلم فلسفة التاريخ، وعلم التطور، وعلم الاقتصاد .

أولا/ علم الدولة:

يرى ابن خلدون، أن تجمعات الأفراد، أو المجتمع، ينشأ بسبب العصبية، التي هي – من ناحية تعريفية – رابطة تربط بين الأفراد والجماعات، وبالتالي، فالعصبية، هي المسؤولة عن تشكّل المجتمع، وتشكّل مجتمع الدولة أيضا، إلا أن رابطة العصبية، التي ينهض على أساسها المجتمع، ومجتمع الدولة، لها وجهان: وجه مادي، ووجه معنوي .

-الوجه المادي: لرابطة العصبية، يظهر في صلة الدم، وصلة الرحم، والنسب، والمصاهرة، وصلة القرابة، وصلة الجيرة (الجار)، وفي النقابات، والجمعيات والاتحادات، والأحزاب السياسية، وما إلى ذلك من المظاهر المادية للعصبية .

-الوجه المعنوي: لرابطة العصبية، يظهر في العهود (الشفاهية)، وفي الشعور بالتضامن،، وفي التجمهر التلقائي، وفي الولاء و الانتماء، وفي الأحلاف غير المكتوبة، وفي صور وأشكال أخرى، لا داعي لإحصائها (أنظر الخارطة الدائرية للعصبية) .

ويؤكد ابن خلدون، أنه في الوقت الذي يبدأ فيه المجتمع في النشوء، تنشأ السلطة السياسية، التي هي نواة الدولة، وبالتالي، تتزامن نشأة المجتمع، والدولة، بواسطة العصبية . فالعصبية إذن، هي التي توجد المجتمع والدولة، معا، فلا مجتمع بدون عصبية، ودولة، ولا دولة، بدون عصبية ومجتمع، وفي هذا الصدد، يثير ابن خلدون، عدة مسائل :

-الأولى: أن العصبية في المجتمع، لها عدة أشكال، والعصبية الكبرى، هي التي تؤسس وتشكل الدولة، أما العصبيات الصغرى في داخل المجتمع، فهي تنظيمات ثانوية، تساعد العصبية الكبرى، وتتبع وتتلقى منها منها التوجيهات .

-الثانية: الإنسان، برأي ابن خلدون، شرير بطبعه، فلا بد له من رادع يردعه عن فعل الظلم، وهذا الرادع هو الدولة . فالدولة، إذن، ضرورية لحياة الإنسان، كالماء والهواء، (وبعد أربعة قرون، قال هيجل الألماني برأي ابن خلدون) .

-الثالثة: يرى ابن خلدون، أن أنظمة الحكم، التي يمكن للدولة ممارسة أحدها، هي ثلاثة :

1-الحكم الطبيعي: (يمارسه الطغاة، حسب أهوائهم) .

2-الحكم العقلي: (يمارسه العقلاء حسب اتفاقهم) .

3-الحكم الشرعي: (الذي يستند إلى نظام الخلافة / في الإسلام) .

-الرابعة: قسّم ابن خلدون المجتمع إلى بدوي وحضري (مدني)، ويرى أن الدولة تنشأ في المجتمع الحضري، بينما السلطة، تنشأ في المجتمع البدوي (الذي أساسه العصبية) .

-الخامسة: يقرر ابن خلدون، أن الدولة، لها عمر طبيعي كالأشخاص، وعمرها، وعمرها مائة وعشرون

(120) سنة ، إلا إن عرض لها عارض (مثل: إنقلاب، أو استدمار (غزو)، أو مجاعة (قحط)، أو طاعون،....الخ، فإن عمرها في هذه الحالة، قد ينقص أو يزيد .

-السادسة: حصر ابن خلدون، وظائف الدولة في حوالي (18) وظيفة، منها: جمع الضرائب، وبناء المؤسسات، وحماية المجتمع والإقليم، وغير ذلك (يمكن الاطلاع على هذه الوظائف، في الجزء الأول

(المقدمة)، من كتابه: العبر في تاريخ العرب والبربر) .

ثانيا/ علم العمران (أو الاجتماع):

لفظ عمران، ورد في القرآن الكريم، ويدعونا ابن خلدون إلى : " أن ننظر في الاجتماع البشري، الذي هو العمران " . وبلغة التعريف، فإن العمران، ينشأ من التجمعات البشرية، فإذا كان المكان خاليا، لا بشر فيه، ولا حياة، فلا يمكن القول بأن ذلك المكان عامر أو فيه عمران، وعلى العكس، إذا تلاقى الناس في مكان واجتمعوا وأقاموا فيه، فقد عمروه، و أنشأوا فيه العمران: من سقائف وخيام ومنازل ومزارع وما إلى ذلك، فالعمران، إذن، هو مظاهر مادية، يصنعها الإنسان في المكان الخالي، للاستعانة بها على الحياة والعيش، مدة من الزمن.

وهكذا يمكن للقارئ أن يلاحظ، مما سبق، أن نشأة العمران عند ابن خلدون، تتم عند التقاء بيئتين اثنتين:

1-بيئة طبيعية، هي المكان الخالي من الأفراد .

2-بيئة اجتماعية، تتمثل في تجمع الأفراد في ذلك المكان الطبيعي، وبمعنى آخر، فإن العمران يوجد ويظهر عند وجود مكان طبيعي ملائم، ثم عند تجمع الأفراد في ذلك المكان الطبيعي، لقضاء مصالحهم الحياتية .

ويرى ابن خلدون أن بعض أقاليم الأرض، أكثر ملاءمة للسكن من بعضها الآخر، وأن الأقاليم المعتدلة، هي الأكثر عمرانا، من الأقاليم المفرطة في البرد أو الحر . وإذا أفرط الحر في إقليم، " أسودّ جلد أهلها، وغلبت عليه الخفة والطيش وكثرة الطرب، فنجدهم مولعين بالرقص ". وأما سكان الأقاليم الباردة، فيغلب عليهم " الحزن ثم التفكير في العواقب " .

ويعتقد ابن خلدون، أن العمران، نوعين:

1-عمران بدوي، (والعصبية هي أساس التجمعات البدوية)، وهو أول عمران يوجد قبل العمران الحضري .

2-عمران حضري، وهذا العمران يوجد عند الانتقال إلى التجمعات الحضرية في القرى والمدن، وهي التجمعات التي تتأسس فيها الدول، وعندها يساهم السكان والدولة في بناء المؤسسات العمرانية في المجتمع الحضري .

على أن أهل الحضر (القرى والمدن)، يعتبرون " مهاجرون من البدو، كما أن أهل البادية، يقدمون لأهل الحضر ما يحتاجون إليه من الأطعمة النباتية والحيوانية، ثم إن العمران البدوي، والعمران الحضري، ضروريان وموجودان معا دائما جنبا إلى جنب " .

ويرى ابن خلدون، أن " أهل البادية، يكتفون في معاشهم بالضروري، من المأكل والملبس والمسكن، ثم هم في طباعهم أقرب إلى الخير، لأنهم أقرب إلى الفطرة، وأبعد عن أوجه الترف، وهم أيضا أكثر شجاعة من أهل الحضر لتمرسهم بقتال الحيوانات المفترسة، وبصد الغارات، ولقيامهم بالغزو . بينما أهل المدن في أشباه ذلك على الأسوار التي تحيط بمنازلهم وبمدنهم، وعلى الحامية والشرطة " .

ومما يلاحظ، أن ابن خلدون، يعتقد أن للعمران البشري، مراحل ثلاث:

1-مرحلة البداوة أو التأسيس .

2-مرحلة الحضارة أو الترف .

3-مرحلة الانهيار أو الانقراض .

ثالثا/ علم التطور أو التغير:

تناول فكرة التطور في الإسلام، القرآن الكريم، في عدة آيات، كما تناولها بعض علماء المسلمين، وخاصة إخوان الصفاء (القرن 10 م)، وأبو الريحان البيروني (القرن 11 م)، وابن طفيل (القرن 12 م)، في قصته " حي بن يقظان "، ثم جاء ابن خلدون (القرن 14 م)، وتوسع في موضوع التطور، وتعمق في مجالاته وآفاقه .

والتطور أو التغير، مصطلح، أو تعبير، يميز كتابات ابن خلدون، فالعمران مثلا، يتغير عنده من بدوي، إلى حضري، والإنسان ينتقل من الضعف إلى القوة، ثم من القوة إلى الضعف والفناء . والعصبية، تبدو ضعيفة، أثناء ظهورها، ولم تلبث أن تقوى، وتنشئ المجتمع، والدولة، والحضارة، تنتقل من مرحلة التأسيس، فإلى مرحلة الترف، ثم إلى مرحلة الانهيار والانحطاط، يقول ابن خلدون، في هذا المعنى:

" حيث أن أحوال العالم، والأمم وعوائدهم ونحلهم، لا تدوم على وتيرة واحدة، ومنهاج مستقر، إنما هو اختلاف على الأيام والأزمنة، وانتقال من حال إلى حال . وكما يكون ذلك في الأشخاص والأوقات والأمصار، فكذلك يقع في الآفاق والأقطار، والأزمنة والدول " .

نستخلص من ذلك، أن ابن خلدون، يعتقد أن كل شيء في الكون، يعتريه التغير والتطور، سواء كان إنسانا أو حيوانا، أو نباتا، أو جمادا، قال تعالى: وترى الجبال تحسبها جامدة، وهي تمر مرّ السحاب "، وقال تعالى أيضا: " كل يوم هو في شأن " . واليوم هو اللحظة عند المفسرين، والشأن، بمعنى الحال .

وتطرق ابن خلدون، وهو يتحدث عن التطور في الكائنات الحية، إلى الاستعدادات الغريبة، في عملية التدرج التكويني، في عالم الحيوان، وكيف انتهى ذلك التدريج إلى الإنسان، " صاحب الفكر والروية، ترتفع إليه من عالم القردة، الذي اجتمع فيه الحس و الإدراك، ولم ينته إلى الروية والفكر بالفعل " . والمراد من ذلك، أن التفكير والتدبير عند الإنسان، وصلت إليه من الإحساس والإدراك اللذان عند القردة، مما يعني أن الإدراك الحسي، عند الإنسان، وصلت إليه من القردة، وبالتالي، فالإنسان تطور من القرد .

وبعد أربعة قرون، أخذ داروين، الإنجليزي، هذه النظرية ونسبها لنفسه، وهي لابن خلدون .

انتهى